

إذا ما وقفنا في هيكلِ قدسك، يا والدةَ الإله، نَحْسَبُ أننا في السماء واقفون. فيا أيتها الباب السماوي افتحي لنا باب رحمتك".

مولانا صاحب الغبطة، رئيس أساقفة أثينا.

عرف السجل المجيد لدير سيدة البلمند استقبالات عديدة لشخصيات محلية وعالمية، ولرؤساء كهنة وبطاركة. تضيفون اليوم إليه لحظة تاريخية فريدة، كما إنه لشرف عظيم لنا، إذ يصطحبكم مولانا صاحب الغبطة إلى دير التاريخي.

قام هذا الدير على بقايا من الحقبة البيزنطية، وعرف تاريخاً متقلباً. وكان للدير من البداية طابع الخدمة. ففي عهد سابق كان يقدم للفلاحين الخبز والبنادق ويقدم للرعاة الصخور والهضبات لمواشيهم. ومع مطلع هذا القرن قامت فيه مدرسة اكلييريكية وأعطيت منها شهادات تعود إلى سنة ١٩٠٠. وبذلك راح الدير يتابع رسالته في عصرنة دائمة ليقدم للناس قوتهم الأساسي كيفما هذا الأخير تبدل.

لكن سنة /١٩٦٠/ بدأت تكتب صفحة جديدة، حين دخل الدير الاسقف إغناطيوس هزيم، البطريك الحالي. الذي رفع مستوى التعليم الاكلييريكي إلى مستويات تتلاءم والزمن. ثم بنى ثانوية في أحضان الدير وأيضاً بدأ العمل في كلية اللاهوت باسطاً أجنحة الدير، ومستبدلاً القلالي الصغيرة بمعهد فخم سمح للحياة الأكاديمية على مستوى جامعي أن تحيا فيه، ولقد شغل العميد الأول له.

بعد استكمال بناء الفكر اللاهوتي روحاً وجسماً، كان طبيعياً لقلب محب لا يهدأ، أن يفكر بالناس الآخرين والجوار من مسيحيين وغيرهم، وذلك لأن الخدمة لا تعرف حدوداً والمحبة لا تعترف بتمييز. وهكذا بدأت أجنحة الدير تزداد ممتدة إلى كليات عديدة أخرى، وتكونت جامعة البلمند بسرعة لا تفسرها إلا همة مولانا وتصميمه من ناحية ومباركة الرب ونعمته من ناحية ثانية. هذه الجامعة طارت شهرتها إلى كل العالم العربي والعالم الغربي. حيث تبث فيهما الروح والعلم على السواء. وصار البلمند فعلاً مرعى أخضر للأغنام الناطقة. كل هذا تم، ولا بد لنا أن نذكره لأن صانعه دائماً يلتزم الصمت. لقد تحولت التلال العارية إلى منشآت ومؤسسات تربوية. وكلنا إيمان أنه سترفع عليها منشآت أخرى في المستقبل تساهم مع التطور الفكري والإنساني، لكي تكون هضبات البلمند دائماً إلى جانب الإنسان وأمينه في خدمته. إن الحياة بدأت والحياة لا تتوقف.

ستزورون بعد قليل كلية اللاهوت للكرسي الأنطاكي، ولطالما ساهم فيها ويساهم خيراً الأساتذة من الجامعات اليونانية في تعاون أخوي خالص. ولعلّ ما ميّز المدرسة الأنطاكية الشهيرة أمران أساسيان. الأول هو، أن دراسة اللاهوت وتفسير الكتاب المقدس فيها كانا يحصلان في القلاي والمغاور وعلى يد النساك المتوحدين، فجاء اللاهوت فيها من الخبرة وحلت معاينة الله فيها مكان المعلومات. وكانت رؤية الله حصيلة حياة العمل والخدمة. وهذا هو صفاء اللاهوت.

والثاني، أن الطابع النسكي الأول لم يجعلها منفصلة عن الناس ولم يوجهها لنخبة منهم، بل ظهر فيها اللاهوت كفن تحويل الخبرات الالهية السامية إلى بشارة رعائية بسيطة وصافية. فلقد خرج من هذه المدرسة كبار من رؤساء الكهنة الذين عرفناهم في سني الإعداد الشخصي نساكاً متشددين، ووجدناهم بعدها في أوان الرعاية مثلاً في التواصل مع كل الناس متفانين في الخدمة. ولنا منهم المثل الأعلى القديس يوحنا الذهبي الفم.

إن منبع اللاهوت في المدرسة الأنطاكية كان القلاي لكن البحر الذي صبّت فيه مياه النعمة كان عالم الخدمة وفنّ الرعاية. اللاهوت للحياة والعلوم للرعاية. اللاهوت في معهدنا " هوى " بمعنى أنه " عشق ". هذا ما يعبر عنه سفر نشيد الأنشاد: "أنا مريضة حباً (٨:٥). لذلك يبقى القلب في يقظة (نشيد ٥:١). هذا الهوى والعشق السماوي لا يعرف النوم. لأن الحب لا يترافق والجماد. والمحبة لا تقف عند الذات. المحبة هي خروج، وهذا الخروج حركة، والحركة حياة، والحياة تجديد، والتجديد خلق، والخلق ألوهة، والألوهة تجعلنا أبناء الله. ولهذا الهدف نحن هنا، أي لتدب الحياة في شبابنا.

غايتنا من اللاهوت أن يشتعل في صدر طلابنا حبّ المسيح لأن من يحبه حتماً سيرعى حملانه.

هؤلاء الشباب جاؤوا إلى هذا الدير يطلبون هذا اللاهوت، لقد تركوا صنائعهم، وكلهم خريجو جامعات، لأنهم يودون أن يصيروا آباءً. ما الذي يدفع اللاهوتي ليصير أباً؟! إنها قوة سرّ الكهنوت، سرّ المحبة، سرّ البذل. لقد تركوا طلب الغنى ليفتقروا من أجل الرعاية. وتركوا المصلحة ليعتقوا حياة البذل. إن الأبوة بهذا الثمن تُقتنى. سنوات الدراسة اللاهوتية هي الفترة المتاحة لنا لنخلق من هؤلاء الاشبال آباءً للناس.

إننا نرى فيهم، وبجدارة، بذار تلك السنابل ان الذي يبذل ذاته اليوم شاباً سيقوم غداً،
بنعمة الرب لا محالة، أباً.

سلطة الراعي في خدمته، علوم اللاهوت هي فن وتقنيات هذه الخدمة. إنني أتذكر
جيداً، يا صاحب الغبطة في مقابلة تلفزيونية لكم سنة / / حين سألكم المذيع عن
شهادتكم . فلم تذكروا لا المحاماة ولا دكتوراة اللاهوت ولا شهادتكم باللغات الانكليزية
والفرنسية ولا معرفتكم بالايطالية والالمانية، وغيرها العديد من المواهب، بل أجبتكم "أننا
كاهن للعلي. فيا نعم الشهادة وأعظم تعريف .

أحبتي الطلاب هاكم المثل . نحن نعرف تماماً ضرورة العلوم والبحوث واللغات،
ولسنا في سعينا إلى ذلك مقصرين، وشبابنا متفوقون في جامعاتهم قبل انتسابهم إلى
المعهد، وكذلك في مجال اللاهوت بعد انتسابهم إليه. ولكننا نعرف أيضاً أننا جئنا نطلب
من كل هذه الأسمى، " كاهن العلي " . صلوا لنا يا صاحب الغبطة لنسير في درب خطاكم
خطوات.

ما دعانا لهذا الكلام لم يكن ضرورة العرض التاريخي. لربما لو استقبلنا شخصاً
آخر لما أجبرنا على هذا السرد. لكن شخصكم بالذات الذي هو مثل أعلى للكاهن والخدمة
والرعاية والتجديد، قد أعاد إلى ذهننا كل هذه الصور.

لقد عرفنا فيكم الكثير، واننا نسمع عنكم الاكثر من المحطات الفضائية ونتابع
بشوق وفرح التفاف الشباب حولكم بشكل خاص. إنني أستطيع أن أقرأ على شفاه سلمعيكم
وشعبيكم "لقد افتقد الله شعبه". قام أبٌ لليونان ووجد الشعب قائده. وإننا نرى حياة جديدة
تدب في جسم الكنيسة اليونانية.

آمالنا كبيرة بقيادتكم لهذه الكنيسة، على جميع الصعد، اللاهوتية والمسكونية
والأرثوذكسية. وإننا لنهنئ الشعب اليوناني الشقيق بكم

في الختام نشكر صاحب الغبطة الذي باركنا بحضوركم ونشكركم لتبريكننا مؤمنين
أن زيارتكم لنا هي وقفة نعيد عليها حساباتنا لنكون مقتنين يوماً بكم.

المسيح قام

واقبلوا منا يا صاحب الغبطة، باسم دير البلمند والعاملين فيه وباسم طلاب كلية
اللاهوت آباء المستقبل، هذا التذكار المتواضع لزيارتكم.